قبسات

من القرآن الكريم

جمع وإعداد

إبراهيم محمد اليافعي

ضوء المعرفة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

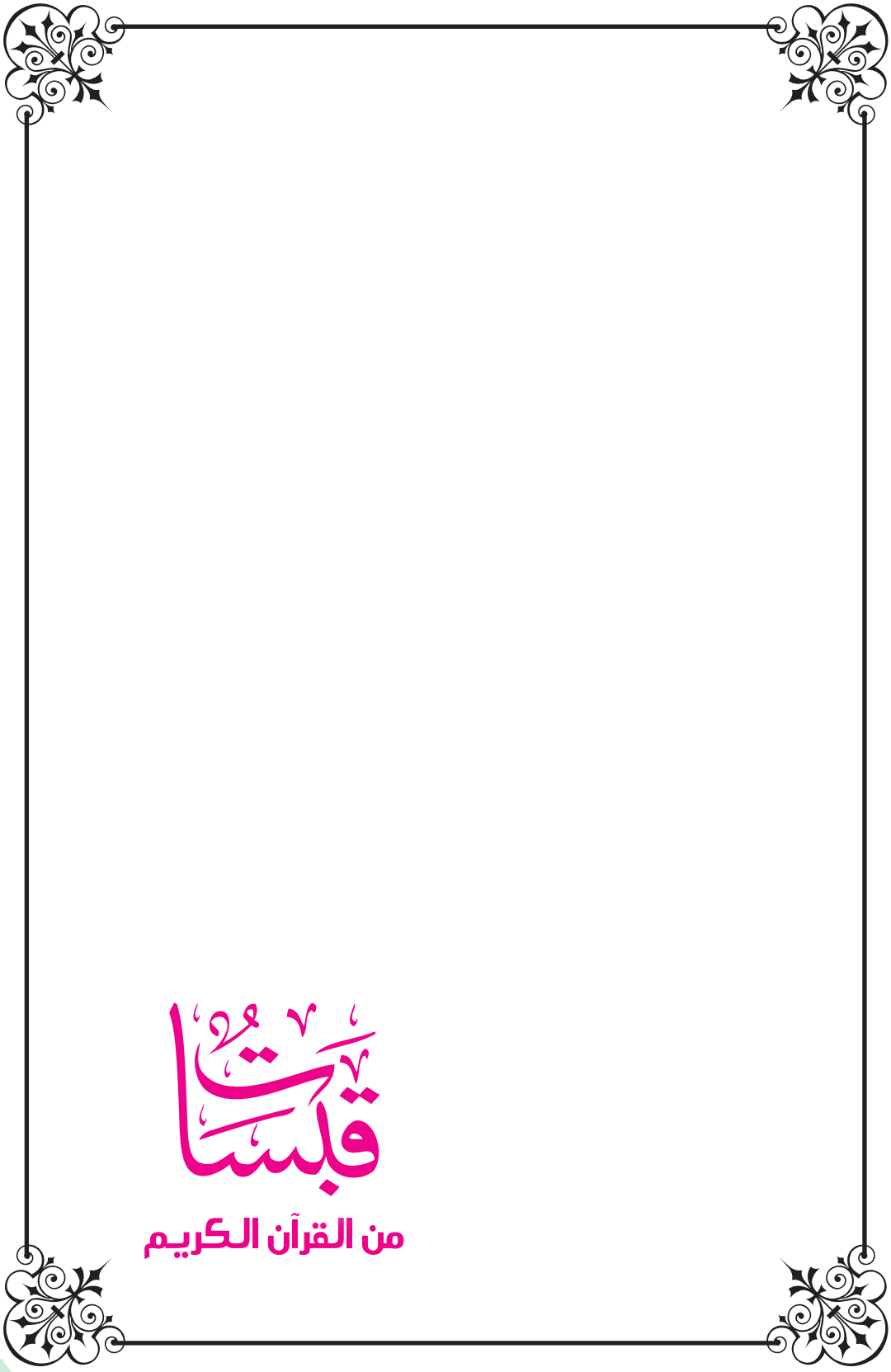

قبسات

من القرآن الكريم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكل مسلم حق طبع هذا الكتاب دون تغيير

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

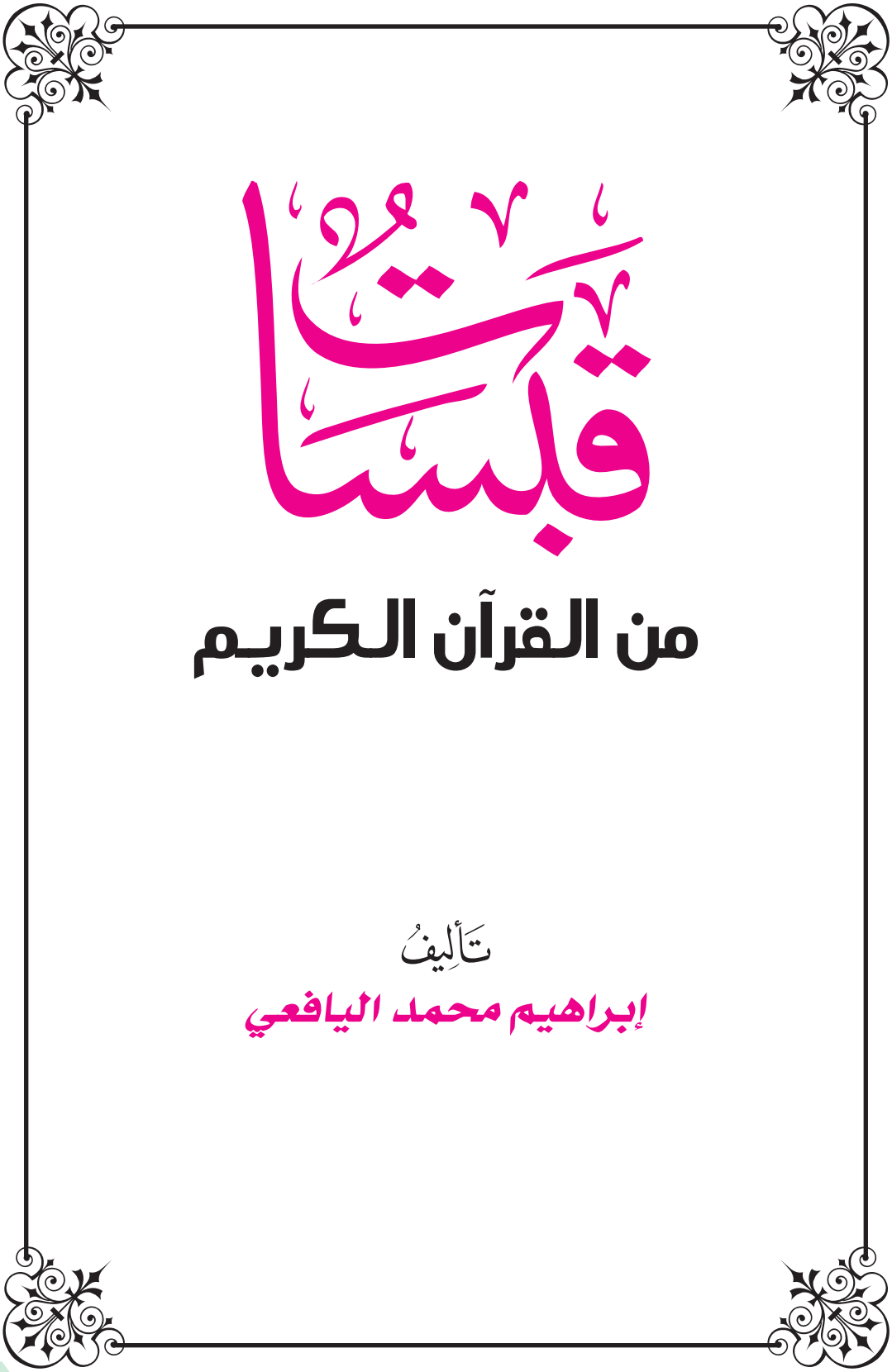

قبسات

من القرآن الكريم

تأليف
إبراهيم محمد اليافعي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

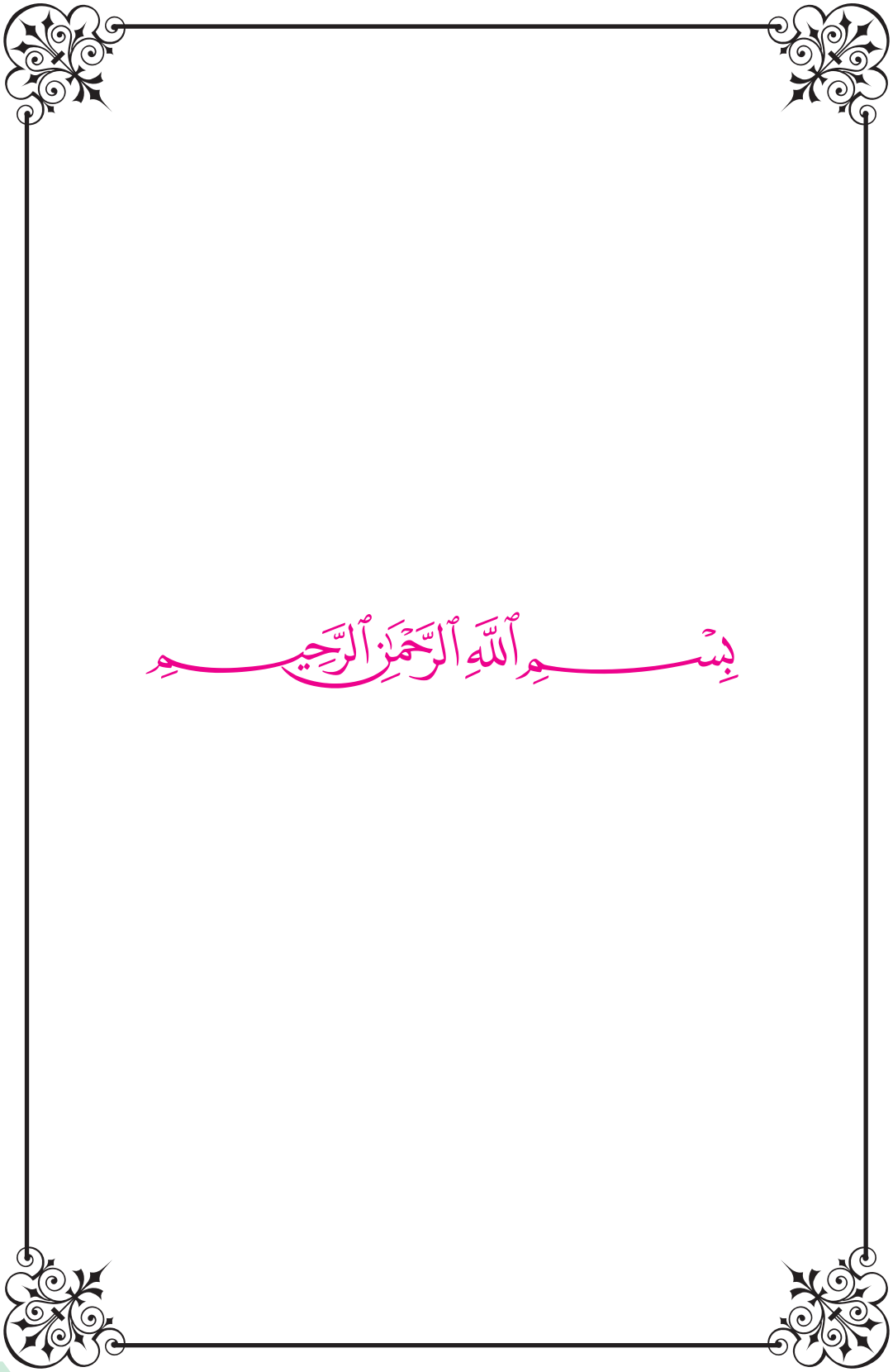

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

[القمر:١٧]

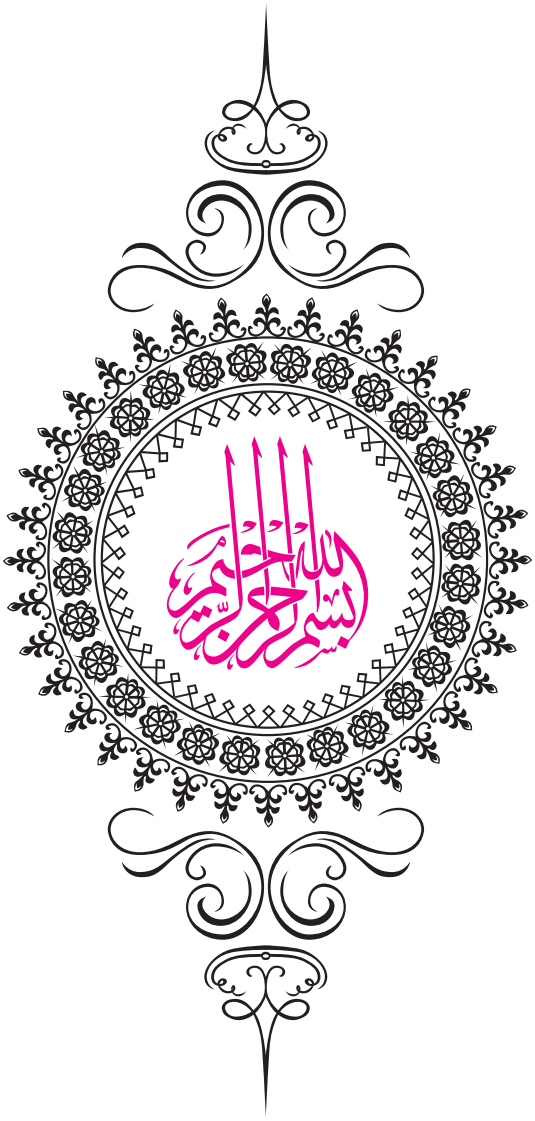
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الكريم الوهاب، الذي أنزل القرآن هدايةً وتبصرةً لأولي العقول والألباب، والصلاة والسلام على الذي أرسله ربه؛ ليخرج الناس من الظلمات والجهل والارتياب، إلى نور السنة والكتاب... **أما بعد:**

فإن القرآن نور مبين يُستضاء به في أمور الدنيا والدين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصفه الله بأنه روح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ...﴾ [الشورى:٥٢].

وهو حبل الله المتين؛ من تمسك به نجا، ومن حاد عنه ضل؛ فعن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«أبشروا أبشروا؛ أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟»** قالوا: نعم. قال: **«فإن هذا القرآن سببٌ، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا»**.

وحسْب القرآن شرفًا ورفعةً وقداسةً أنه كلام العظيم الحي القيوم سبحانه، الذي تحدى به الثقلين من الإنس والجن؛ فقال عن كلامه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء:٨٨].

وكما للقرآن من مكانة وشرف؛ فإن الاهتمام به -قراءةً ودراسةً وتدريسًا وفهمًا وتأليفًا وتطبيقًا وتدبرًا- شرف أيضًا؛ ولأجل نيل هذا الشرف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-بإذن الله-؛ اقتبست هذه القبسات والأنوار؛ لأنال وتنال -أيها القارئ الكريم- الشرفَ والرفعةَ عند الله، ولننجو بأنفسنا من الفئة التي شكا الرسول ﷺ إلى ربه منها بأنها هجرت القرآن؛ فقال الله على لسان نبيه: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:٣٠].

وهذه القبسات كنت أنشرها يوميًا في شهر رمضان وبعد رمضان على شكل حلقات في مواقع التواصل الاجتماعي، ولما رأيت أنها حلقات متناثرة هنا وهناك؛ قررت جمعها في كتاب؛ لتعم فائدتها؛ فهي قبسات تنفع القارئ، وتنفع الخطيب والواعظ؛ لأن بعض القبسات -إن لم تكن كلها- تصلح كل واحدة منها أن تكون خطبة جمعة مكتملة العناصر.

ملاحظة: كل الأحاديث التي أوردتها في الكتاب صحيحة، فقبل أن أكتب أي حديث بدأت بالتحقق من صحته، ولم أنقل أي حديث ضعيف أو موضوع؛ ليكون القارئ على اطمئنان أن يقرأ الأحاديث او يستشهد بها، وقد أوعزت كل الأحاديث إلى رواتها، فما كان عند البخاري ومسلم أو عند أحدهما أكتفي بهما، حتى وإن كان الحديث موجودًا عند غيرهما.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، إنه جواد كريم.

إبراهيم محمد اليافعي

شوال ١٤٤٣هـ

اليمن - يافع - المفلحي

اتصال وواتساب: ٠٠٩٦٧٧٣٩٨٠٢١٥٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١)
﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾

الحسد: هو تمني زوال نعمة الغير.

والحسد مانع من موانع الهداية، وسبب من أسباب البغي والاعتداء؛ حيث ذكر الله في كتابه الكريم أن حسد أهل الكتاب للعرب والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب من أسباب عدم إيمان أهل الكتاب بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقائهم على الكفر، مع معرفتهم التامة -كما يعرفون أبناءهم- أنه رسول الله، وأنهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وذكر الله أن الحسد هو الذي دفع قابيل لقتل أخيه؛ قال الله عنهم:

١- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ...﴾ [البقرة:١٠٩].

٢- ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ [البقرة:١٠٥].

٣- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤] فحسدوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العربي على نبوته؛ لأنهم كانوا يريدون أن يكون من بني إسرائيل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة:٩٠] بغيًا؛ أي حسدًا؛ أي أن الحسد هو الذي دفعهم إلى عدم الإيمان بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] فالله تقبل هذه العبادة والقربان من هابيل ولم يتقبل من قابيل؛ فحمله حسده لأخيه على قتله وارتكاب جريمة البغي والفساد في الأرض، وبسبب هذه المعصية يتحمل نصيبًا من إثم كل قتل يحصل في الأرض؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفل (نصيب) من دمها؛ وذلك أنه أول من سن القتل**» [رواه البخاري ومسلم].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢)
(المتبوعون والأتباع)

ما أعظم الحسرة عندما يفني الإنسان عمره في خدمة ظالم، أو الترويج له، أو التبرير لظُلْمِه، أو يكون تابعًا لأهل الضلال، وهناك الحسرة والندامة حيث لا ينفع ندم ولا حسرة؛ حين يتبرأ المتبوعون من أتباعهم، وحين يتبرأ الظلمة من جنودهم وعساكرهم وأعوانهم في الظلم وإضلال الناس؛ قال الله وهو يصور هذه المشاهد وهذه الحسرات:

١- ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٦، ١٦٧].

تبرأ المتبوعون والقادة والملأ من أتباعهم، وتقطع وانفصل وانتهى ما كان بينهم في الدنيا من صِلات ومصالح، وانقلبت عليهم يوم القيامة حسرة وندامة؛ وحينئذٍ فالأتباع والرِّعاع وأبواق الظلمة والضُّلَّال يتمنون أن يُرَدُّوا إلى الدنيا فيتبرؤوا من المتبوعين؛ ولكن هيهات.

٢- ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١] أي ليس لنا ولا لكم من مهرب ولا نجاة من العذاب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر:٤٧، ٤٨].

٤- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ:٣٣].

أي كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتخبرونا أننا على هدى؛ إذ تُحَسِّنون لنا الكفر والضلالة، وتدعوننا إلى ذلك، وتقولون: إن ذلك هو الحق، فما زال مكركم بنا وكيدكم إيَّانا؛ حتى أغويتمونا وفتنتمونا.

٥- ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٨].

ادَّارَكُواْ؛ أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والآخرين، والقادة والرؤساء والمقلدين الأتباع؛ فيسأل أُخراهم؛ أي الأتباع والسفلة والرعاع، يسألون الله أن يضاعف لأولاهم العذاب، وأولاهم؛ هم سادتهم وزعماؤهم، سألوا لهم مضاعفة العذاب؛ لأنهم هم الذين شرَّعوا وزيَّنوا لهم الضَّلال، فأراد الأتباع أن يكون رؤوس الضلالة والطغيان هم أولى بعقوبة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشدُّ من عقوبة الذين قلَّدوهم واتبعوهم؛ لكن من كانوا رؤساء وسادة يتبرؤون من أتباعهم بقولهم ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٣٩]؛ أي: قد اشتركنا جميعا في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب، فأيُّ فضل لكم علينا؟ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء وأئمة الضلال أبلغ وأشنع من عذاب الأتباع، كما أن نعيم أئمة الهدى ورؤسائه أعظم من ثواب الأتباع، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨] فلهم عذاب الكفر وعذاب الصد عن دين الله.

٦- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:٢٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣)
﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

لم يذكر الله كرامة وفضلًا ومنزلة كما ذكر ذلك فيما أعده الله للشهداء والمقاتلين في سبيله؛ الذين بذلوا أغلى ما يملكون؛ وهي نفوسهم.

هل تعلم أن الله -الكريم الجواد- يشتري؟

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ...﴾ [التوبة:١١١].

أصل الشراء بين الخلق أن يعوَّضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع؛ فاشترى الله سبحانه من العباد بذل أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته؛ وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عِوَضٌ عظيم؛ فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الشراء والثواب.

وفضَّل الله مقام المجاهدين على القاعدين عدة مرات؛ فقال: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥].

بشارة أخرى يبشِّر الله بها الشهداء؛ فقال:

- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالمجاهد عندما يقتله أعداؤه لا يعني أنهم أنهوا حياته؛ بل إنهم نقلوه من حياة إلى حياة أخرى هي أفضل من الحياة الأولى التي كان فيها في دار التعب والبلاء.

- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩، ١٧٠].

من شدة فرحهم وما وجدوه في هذه الحياة السعيدة التي يعيشونها بعد استشهادهم يتمنون أن ينقلوا هذه المشاعر إلى إخوانهم المؤمنين الذي لا يزالون على قيد الحياة في الدنيا؛ ليحرص إخوانهم في الجهاد والإيمان على نيل الشهادة؛ فكان سبب نزول هذه الآية؛ ما رواه أبو داود في الحديث الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما أُصيب (أي قُتِل) إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خُضر ترد أنهار الجنة؛ تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلِّغ إخواننا عنَّا أنا أحياء في الجنة نُرزق؛ لئلَّا يزهدوا في الجهاد؟ فقال الله سبحانه: أنا أُبلِّغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ... ﴾**».

ما هي الخاتمة التي تمناها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تكرر عليه عدة مرات؟

لم يتمنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمة أن تتكرر عليه عدة مرات كما تمنى ذلك في أن يختم الله له بخاتمة الشهداء؛ فقال: «**والذي نفس محمد بيده**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل» [رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة].

- وللمجاهد في الجنة؛ المقام السامي والمنزلة الرفيعة؛ كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض...»** [وروى مسلم بلفظ قريب منه].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٤)
(لعله خير)

- هل كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم أن رمي إخوته له في البئر، ومشكلته مع زوجة العزيز، ومكوثه في السجن... أن كل هذه الأمور كانت مقدمات لرفعته والتمكين له في أرض مصر من الجاه والسؤدد والإتيان بأبيه وأمه وإخوته من فلسطين إلى مصر ليعيشوا في رغد من العيش، بعد مرحلة عاشوها في الفقر والحاجة؟.

* قد يخرجك الله من ضيق في وقت لم تحتسبه، وبأمر سهل لم يخطر على بالك؛ فتعبير رؤيا عبَّرها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت سبب نجاته من السجن.

- لم يكن يعلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن خروجه من مصر ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ في الشمس والحر والجوع والضمأ لا يعرف إلى أين يذهب... أن عناءه وتعبه وخوفه كان مقدمة ليأوي إلى بيت شيخ كبير في مدين ويزوجه ابنته، فتكون النتيجة؛ بيت يأوي إليه ويأمن به، وزوجة تحن عليه.

- لم يكن يعلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه عندما أضاع الطريق ليلًا -هو وزوجته وهما عائدان من أرض مدين إلى مصر- أن تضييع الطريق كان تقدير من الله له؛ ليرى النار ويذهب إليها ليأخذ قبسًا من نارها ليدفأ بها هو وزوجته، وليستضيء بها ولعله يجد مسافرين حول النار؛ ليستأنس بهم في هذه الليلة الباردة المخيفة؛ لكن موسى وجد شيئًا لم يكن يتوقعه؛ حيث أكرمه ربه بأن كلمه وجعله كليمًا له وفضَّله بالنبوة وأعطاه معجزة العصا وغيرها من تلك اللحظة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحيانًا قد يكون الخير يظهر لك في البداية على هيئة شر -حسب تفكيرك ونظرك- لكنه في مآله ومستقبله إلى خير؛ فقيام الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ بخرق السفينة، رأى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا العمل أنه شر لا خير فيه؛ لكن عاقبته حماية السفينة من ملك كان يأخذ السفن التي تمر بالقوة والغصب؛ لكنه كان يترك أية سفينة يوجد فيها عيب؛ فكانت خير لهؤلاء المساكين الذين يمتلكون السفينة.

كذلك قتل غلام بريء كان ظاهره شر وجريمة في نظر موسى لكنه في عاقبته ومآله خير؛ فقد علم الله في سابق علمه أن هذا الغلام -الوحيد مع أبويه- لو كبر وبلغ فإنه سيكون كافرًا؛ وسيكون كفره سببًا لكفر أبويه الصالحين، حيث حبهما له ومحاولة إرضائه يحملهما ويدفعهما على متابعته على الكفر؛ فكان في قتله قبل سن البلوغ والتكليف خير لهما وله.

- لما تكون العلاقة بين الزوجين قائمة على سوء المعاشرة، ولم يقبل كلاهما أو أحدهما الصلح، ووصلت وساطة المصلحين إلى طريق مسدود؛ فقد جعل الله الطلاق فيه خير للزوجين، أفضل من هذه العلاقة القائمة على التنافر وسوء المعاشرة.

مع أن الطلاق ظاهره شر لهما؛ لكن الله قال لعله خير في قادم الأيام؛ فقد يكون من نصيب الزوج زوجة أخرى يعيش معها في حال أفضل، وقد يكون الطلاق للمرأة خيرًا، فربما تعيش مع زوج آخر أفضل من الزوج الأول؛ قال الله ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٣٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٥)
(القرآن وحماية الفضيلة)

سد القرآن أي باب من أبواب الرذيلة؛ لحماية الفضيلة وحماية الأعراض من الدنس والفساد؛ فنجد في القرآن عشرات الآيات التي تأتي في إطار حماية الفضيلة والأعراض؛ فمن ذلك:

١- جعل عقوبة الزنى، وجل العقوبة تُقام أمام طائفة من الناس؛ لتكون عبرة لمن يعتبر، ولحماية المجتمع من مسالك الانحراف الأخلاقي. ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢].

٢- لم يكتفِ القرآن بجعل عقوبة على فاعل الفاحشة؛ إنما رتَّب -أيضًا- عقوبة على قائل الفاحشة؛ فجعل الله عقوبة دنيوية؛ هي حد القذف، وأُخروية؛ هي اللعنة؛ ليكون في ذلك صيانة لأعراض الناس ومكانتهم في المجتمع؛ فقال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:٢٣].

٣- سد القرآن أي باب أو وسيلة يكون مآلها فعل الفاحشة والاطلاع على عورات الناس؛ فأمر الله بحماية النظر؛ لأنه بريد الزنى، وأمر الله المرأة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المؤمنة بالستر والحشمة، بل أعمق من هذا؛ أمر الله أن لا يكون في مشي المرأة عملية إثارة للرجل ولفت انتباهه بأن هناك امرأة تمر من هذا المكان؛ فقال الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ...﴾ إلى أن قال الله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ...﴾ [النور:٣٠، ٣١].

ألا تلاحظ أن الله قرن النظر بحماية الفرج؛ فجعل حفظ النظر هو أول أسوار حماية الفرج، وأن إطلاق المجال للنظر؛ هو هدم لأول أسوار حماية العفة.

وأمر الله المرأة بأن لا تلبس في رِجليها أشياء فيها لفت أنظار الرجال؛ فقد كانت المرأة في الجاهلية تمشي في الطريق وفي رِجليها خلاخل (من أنواع الحُلي والزينة)، كانت تضرب برجليها الأرض؛ فيعلم الرجال طنينه وصوته؛ لتثير بذلك انتباه وأنظار الرجال؛ فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك. ويدخل في ذلك أي إثارة انتباه للرجل نحو المرأة؛ من لباس وعطر وزينة وغير ذلك.

٤- من الوسائل القرآنية لحماية الفضيلة؛ شدد الله على المرأة المؤمنة أن تكون حريصة حتى في أسلوب كلامها مع الرجل؛ فقد منع الله نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لين وخضوع الكلام مع الصحابة -وهم خير جيل وهن خير نساء-؛ لكن مع هذه الخيرية في هذا الجيل الفريد سد الله أي منفذ من منافذ الزيغ والرذيلة؛ فقال جلَّ شأنه: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- حذَّر الله عباده من دعاة الفجور والشهوات؛ فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

٦- ولأجل تعليم الجيل على الستر والعفة والفضيلة؛ أمر بتعويدهم على آداب الاستئذان؛ لئلا يطَّلعوا على عورة من العورات؛ قال جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٥٩].

٧- والعنوسة؛ وهي التأخر بالزواج، لما كانت سببًا من أسباب الفاحشة؛ أمر الله عباده بالإسراع في تزويج الأيامى؛ لتحصينهم؛ فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢]. الأيامى؛ الرجل الذي لا زوجة له، والمرأة التي لا زوج لها.

٨- أمر الله المؤمنين بالالتزام بآداب الاستئذان عندما يريدون أن يدخلوا بيتًا من البيوت؛ لئلا يكون الدخول بدون استئذان فيه الاطلاع على العورات؛ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:٢٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٦)
(الأدب مع الله)

أتى القرآن بعدة أمثلة عن التأدب مع الله وتنزيهه عن النقائص؛ فذكر لنا القرآن الكريم عدة أمثلة على ذلك:

١- قال الله على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٠].

فانظر إلى إبراهيم كيف نسب الخلق والهداية، ونِعَم الأطعمة والأشربة، والشفاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لكنه في المرض قال: ﴿مَرِضْتُ﴾؛ فنسب المرض إلى نفسه ولم ينسبه إلى ربه؛ تأدبًا مع الله جل شأنه، مع أن المرض والشفاء من الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- موقف آخر يعلمنا الله فيه الأدب معه ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ...﴾ [الأعراف:١٧٥، ١٧٦].

تأمل كيف أنه نسب الرفعة إليه في قوله (رفعناه)؛ لكنه في مقام النقص والعيب نسب ذلك إلى هذا الشخص فقال (انسلخ) و (أخلد). مع أن الكل من الله -تعالى- لكن فيه تعليم العباد حُسن الأدب. وفي هذا السياق يقول نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الخير كله في يديك والشر ليس إليك...**» [رواه مسلم].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- وهنا يضرب لنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلًا من أمثلة التأدب مع الله؛ فالضر الذي أصابه نسبه إلى الشيطان مع أن الأقدار بيد الله؛ فقال الله عنه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ [ص:٤١].

٤- موقف آخر من الأدب مع الله؛ حيث قالت الجن متأدِّبة: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ [الجن:١٠]؛ فنسبت الخير والرشاد إلى الله، ونفت عنه الشر وأتوا بصيغة المجهول في قولهم: ﴿ أَشَرٌّ أُرِيدَ ﴾.

٥- انظر إلى الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف نسب خرق السفينة إلى نفسه ولكن حفظ كنز الغلامين اليتيمين نسبه إلى الله؛ مع أن الفاعل في كِلتا الحالتين هو الخضر؛ قال الله: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا... ﴾ [الكهف:٧٩] فنسب عيب وخرق السفينة إلى نفسه؛ لكنه نسب الخير إلى الله بقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ... ﴾ [الكهف:٨٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٧)
﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ﴾

من القواعد الشرعية التي أرساها القرآن وأكَّد عليها؛ هي قاعدة: التثبُّت والتأكد عند سماع الأخبار.

كم من فتن ومصائب وحروب وطلاق وقطع أرحام وتشتت أسر وخراب مجتمعات كان سبب ذلك نقل الأخبار بدون تأكد وتثبُّت.

ذكر القرآن حادثة حدثت في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، ولولا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل بهذه القاعدة الشرعية؛ لسُفكت دماء قبيلة مسلمة؛ بسبب خبر كاذب؛ قال الله وهو يصف هذا الحدث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ...﴾ [الحجرات:٦، ٧].

وعاتب الله نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع الخصم الآخر؛ فقال الله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٖ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٞ وَتِسْعُونَ نَعْجَةٗ وَلِيَ نَعْجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص:٢١-٢٦].

كثيرة هي الأخبار التي نسمعها وننشرها دون أن نتأكد منها، وكثير هي الشائعات التي نبثُّها دون أن تستند إلى خبر صحيح، كثير من الناس ظلمناهم في الحكم عليهم بناءً على سماع طرف دون السماع إلى طرف آخر.

تأكد قبل أن تنشر، وتذكَّر لو كان هذا الخبر ضدك هل كنت تحب أن ينشره الناس؟!، وعند سماع الشكوى اسمع إلى كل الأطراف، واعلم أن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عِشاءً يبكون بعد الذي فعلوه بيوسف؛ فليس كل من شكا مظلوم، ولا كل من بكى هو على حق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٨)
﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾

من البشارات التي يرسلها الله ويقذفها في قلب المؤمن أن يعلم علم اليقين أن دين الله منصور، وأن نور الله ماضٍ، ولو اجتمع العالم كله لإطفائه، هذه البشارات لكل واحد منا يرى حجم التآمر والكيد للإسلام والمسلمين، وحجم التآمر على الفضيلة والترويج للرذيلة.

إذا الله يأبى شيئًا فهل هناك من يستطيع أن يقف أمام إرادة الله؟!

يقول الله مبشِّرًا عباده بأنه حافظ دينه وناصر شريعته، ومتمُّ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢].

إذا كان الله يعلن الحرب على من آذى وليًّا من أوليائه؛ فكيف ستكون حربه على من دخل في حرب مع الله ودينه؛ يقول الله في الحديث القدسي «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...». رواه البخاري.

فأعداء الدين ودعاة الرذيلة والذي يحاربون حماة الفضيلة... هؤلاء دخلوا في حرب مع الله، والويل لمن دخل في حرب وكيد ومكر معه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٣].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥، ١٦].

قد تمر مرحلة من مراحل الضعف في أهل الإسلام، وتسلُّط الأعداء عليهم؛ لكنها مرحلة يمحِّص الله بها أهل الإسلام؛ ثم تكون العاقبة نصرًا وتمكينًا؛ قال الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾ [النور:٥٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٩)

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

وإن كانت قراءة القرآن أحد مقاصد إنزاله، إلا إنه لم ينزله الله فقط لأجل قراءته؛ إنما هناك الكثير من حكم ومقاصد إنزاله؛ فالله وصف كتابه العزيز بأنه يهدي للتي هي أقوم؛ ففيه تستقيم وتعتدل حياة الناس في جميع شؤون حياتهم؛ فمن معاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]:

- به تستقيم دماء الناس وأنفسهم؛ فجعل في ذلك القصاص؛ لتستمر الحياة، وليكون القصاص فيه محافظة على دماء الناس من الإزهاق؛ فقال الله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

- بالقرآن تستقيم الفضيلة والأعراض؛ فجعل حد الزنا، وحد القذف، وشدد على غض البصر، ولباس الحشمة عند المرأة، وعدم خضوعهن في الكلام وتليينه أمام الرجال الذين ليسوا بمحارم.

- القرآن أقوم للقلوب بما يُسعدها ويدفع ما يشقيها من الضيق والضنك والتعاسة.

- القرآن أقوم بأن جعل القوامة بيد الرجل؛ لأنه أقدر من المرأة في القيام بمصالحهن ومصالح البيوت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- فيه استقامة السلوكيات والأخلاق؛ فأمر بالدفع بالتي هي أحسن والقول الحسن والتواضع وغيرها من محاسن الأخلاق، ونهى عن السخرية والكِبر والطعن والتنابز بالألقاب والظن والتجسس والغيبة وغيرها من مساوئ الأخلاق.

- به تستقيم حياة المجتمعات؛ فأمر بأعمال البر وصلة الأرحام وطاعة الوالدين والرفق بهما، ونهى عن الأذية وأعمال الإثم والتعدي والظلم والبغي وقطع الأرحام وعقوق الوالدين.

المقام يطول والبركة في معاني القرآن يصعب علينا حصرها بعدة معانٍ. وأترك لقارئ القرآن أن يستزيد من التدبُّر، وأن يستخرج المزيد من معاني ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٠)

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾

الروح هي مادة الحياة لجسم الإنسان؛ فإذا خرجت الروح أصبح الإنسان جثة هامدة لا حراك فيها.

كما أن للأجسام روح تحيا بها، فهناك روح معنوية تحيا بها القلوب؛ لذلك وصف الله القرآن الكريم بأنه روح ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ...﴾ [الشورى:٥٢].

فهذه الروح هي التي تغذي قلب الإنسان؛ فيتنوَّر بنور القرآن، وتجعله هذه الروح سعيدًا في حياته، راضيًا بما قسمه الله له ويحيا حياة طيبة.

لذلك تجد أن من تعلَّق قلبه وعمل بمقتضى هذه الروح فإن الله تكفَّل له بكل خير؛ من الطمأنينة والحياة الراضية الطيبة؛ قال الله في ذلك:

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فالقرآن وذكر الله حياة القلوب وسعادتها وطمأنينتها.

ثم توعد الله بالحياة التعيسة والضنَك والضيق والقلق والنكد لمن ترك هذه الروح وأعرض عنها وبحث عن السعادة في غير هذه الروح؛ فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١١)

﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾

من الأمور التي أكَّد عليها القرآن وجعلها الله متصلة به؛ الوفاء بالعهود والمواثيق والاتفاقات؛ في الحرب والسلم والبيع والشراء والشراكات التجارية والأسرار وسائر المعاملات.

ولأهمية المواثيق والتأكيد على الوفاء بها؛ جعل الله العهد عهده وميثاقه؛ فقال في هذا الشأن:

- ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩١].

- وأمر عباده المؤمنين بالوفاء بالعهد؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ...﴾ [المائدة:١]. العقود؛ أي العهود.

- وضرب -سبحانه- مثلًا لتقبيح نقض العهد؛ بأن ناقض العهد كمثل تلك المرأة الحمقاء التي كانت تفتل وتعمل غزلها فتلًا محكمًا، ثم تنقضه بعد ذلك، وتتركه مرة أخرى قِطعًا منكوثة محلولة؛ فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ...﴾ [النحل:٩٢].

- أخبر -تعالى- أن العهد من الأمور التي سيُسأل عنها العبد يوم القيامة: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وعندما ذكر الله في بداية سورة (المؤمنون) أن المؤمنين قد فازوا وفلحوا، ذكر بأن الوفاء بالعهد من أسباب فوزهم بالجنة ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون:٨].

ونقض العهود من المشاكل التي يعاني منها الناس هذه الأيام؛ فتجد أن الشريك يحتال على شريكه في العمل وينقض الاتفاق والعهد الذي كان بينه وبين شريكه، وتجد من يتعهد بعدم إفشاء سر؛ ثم يفشي ذلك السر، وتجد آخر يتعهد عند عقد زواجه بأنه يعامل زوجته إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان؛ لكنه ينقض هذا العهد؛ كما قال الله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:٢١].

والميثاق الوثيق المتين في الآية؛ هو ما أخذه الله للنساء على الرجال -أثناء عقد الزواج- من حُسن المعاشرة أو المفارقة بإحسان، كما في قوله جل ثناؤه: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:٢٢٩].

- وقد سخط الله على قوم عاهدوا الله بأنه إذا اعطاهم من المال فإنهم سيصلون الأرحام ويتصدقون في شتى أعمال الخير، فلما أعطاهم الله من فضله؛ بخلوا وتركوا العهد الذي عاهدوا الله؛ فجعل الله هؤلاء من جملة المنافقين المسخوط عليهم الذين إذا عاهدوا غدروا؛ قال الله عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٥-٧٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٢)

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ ﴾

هكذا يستمر القرآن في توضيح دأب وعمل أهل الضلال عندما لا يجدون الحجة في الرد على المصلحين في كل زمان ومكان؛ فعندما تأتي الحجة على ألسنة المصلحين، وعندما تعدم الحجة عند المعاندين، فبدل أن يعترفوا بالحق؛ يلجؤون إلى وسيلة أخرى؛ تهديد المصلحين بالقتل أو السجن أو الطرد من البلاد، أو على أقل المستويات؛ التشويه بهم وتنفير الناس منهم؛ وهي محاولة منهم لإسكات أهل الحق وإطفاء نور الله؛ لكن الله يأبى ذلك.

- هذا خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي بالحجة على قومه بعد أن كسَّر الأصنام، وبأنها إن كانت آلهة -كما تقولون- فاسألوا هذه الآلهة لتخبركم وتقول لكم من الذي كسَّرها إن كانت تنطق، لكنهم بعد أن عرفوا أنها باطلة وبأن حجة إبراهيم قوية، وبدل أن يعترفوا لإبراهيم بأنه على الحق؛ لجؤوا إلى إسكات الحق الذي معه؛ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٨].

- موقف آخر من مواقف الطغاة بعد أن تبين لهم الحق وعدِموا الحجة؛ حيث فرعون يهدد موسى بالسجن؛ لإسكاته ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء:٢٩].

- أسلوب آخر يضاف إلى التهديد بالعذاب؛ وهو أسلوب التشويه وتنفير الناس من المصلحين، وأن المصلحين شر وشؤم ووبال على المجتمع،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأن المصائب بسببهم، وأننا لم نرَ إلا الشؤم والمصائب منذ عرفناهم، واتهام المصلحين بالسحر؛ لتخويف الناس منهم، وبالجنون؛ لترك الناس لهم وأنهم غير عقلاء لا تُبالوا بهم ولا تستمعوا لكلام هؤلاء المجانين؛ قال الله عن فرعون: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات:٣٩].

قال الله وهو يقص قصة القرية التي أرسل إليها ثلاثة رسلٍ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس:١٨].

التطيُّر؛ هو التشاؤم.

- شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ يهدده قومه بالرجم لولا مخافة منهم من قبيلة شعيب ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود:٩١].

- تعال معي إلى سيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل سلم من تآمر قومه عليه؟

بعد سنوات والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتيهم بالحُجَّة وراء الحُجَّة، وكانوا قبل ذلك يلقبونه بالصادق الأمين؛ لأنهم يعرفون صدقه وأمانته؛ لكنهم انقلبوا بعد ذلك إلى العناد والمكابرة... بعد كل الحج والآيات لم يجدوا من وسيلة لإسكاته؛ إلا أن يجتمعوا في مقر مشورتهم ومكان اتخاذ قراراتهم (دار الندوة)؛ لنفيه وطرده من مكة، أو حبسه، أو قتله؛ فاستقر الأمر على قتله؛ قال الله وهو يصف هذه المؤامرة على سيد الخلق ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيا أيها المُصلح هذا هو طريق الأنبياء والمرسلين والمصلحين عبر الأزمان والدهور؛ لكن تذكر أين كان مصير المصلحين الذين ثبتوا على الحق، وأين الجبابرة والظلمة؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٣)
﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

هناك خُلُقٌ عظيم ربما نغفل عنه؛ لكن هذا الخلق نجده حاضرًا في القرآن الكريم؛ إنه خلق مراعاة المشاعر وجبر الخواطر.

* فانظر إلى يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في ثلاثة مواقف متتالية في آية واحدة راعى فيها مشاعر إخوته وأبويه؛ فقال:

- ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف:١٠٠]، ولم يقل من البئر؛ لئلا يذكر إخوته صنيعهم مراعاة لمشاعرهم، بعد عفوه عنهم بقوله: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾.

- ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ [يوسف:١٠٠]، ولم يقل من الفقر؛ لئلا يذكِّرهم بالفقر وأنه هو الذي أتى بهم إلى حال أفضل؛ فلم يذكر ذلك، ولا منَّ عليهم قائلًا: أنا أخرجتكم من الفقر؛ فراعى بذلك مشاعرهم.

- ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠]؛ فنسب ذلك إلى الشيطان ولم ينسبه إلى إخوته؛ كرمًا منه، ومُراعيًا لمشاعرهم.

لما كان اليتيم فاقدًا لأبيه؛ فهو أحوج ما يكون إلى العطف والحنان؛ تعويضًا لجزء من حنان وعطف أبيه الذي فقده؛ مراعاة لمشاعر هذا الطفل. ولما كان السائل لم يسأل إلا عن احتياج، ويسأل ونفسه مكسورة؛ خوفًا من رد الناس له أو إذلاله بالمن أو الأذى أو التكلم عليه وإهانته؛ أمر الله بعدم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نهره وتعنيفه؛ مراعاة لمشاعره، فإما أن تعطيه أو تتركه بالحسنى دون تعنيف أو إذلال؛ قال الله عن اليتيم والسائل: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:٩، ١٠].

- لما كان اثنان أو أكثر يتحدثون وهناك آخر في نفس المكان لا يشركونه معهم؛ فالله نهى هذا الأمر؛ مراعاة لمشاعره، ولئلا يظن هذا أن الآخرين يتكلمون عليه؛ فيسيء بهم الظن؛ قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ [المجادلة:١٠].

وفي هذا المقام تذكرت موقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أرسلت له زوجته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طعامًا وكان يوم عائشة، فغارت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إذ كيف في يومها ترسل زوجة أخرى الطعام للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فضربت عائشة يد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فسقطت القصعة؛ فانكسرت بما فيها من الطعام، فأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى، وجعل يجمع فيها الطعام ويقول: «**غارت أمكم غارت أمكم**» [رواه البخاري].

تأمل معي هذا الموقف لو حصل هذا التصرف من زوجات أحدنا أمامه؛ فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يعنِّف عليها، ولم يؤذها بقول ولا بفعل؛ بل إنه راعى مشاعرها وغيرتها؛ قائلًا: «**غارت أمكم غارت أمكم**».

- الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يراعي مشاعر طفل صغير مات عصفوره؛ فقد روى البخاري ومسلم من حديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل علينا ولي أخ صغير يُكنَّى أبا عمير، وكان له

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نغر (طائر صغير) يلعب به؛ فمات، فدخل عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم فرآه حزينًا، فقال: «**ما شأنه؟**» قالوا: مات نغره. فقال: «**يا أبا عمير ما فعل النغير؟**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٤)
﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾

الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يعلمنا التواضع لله، ونسْب نعمة العلم إليه مهما بلغنا من مراتب العلم والمعرفة؛ فقال لصاحبيه في السجن: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ...﴾ [يوسف:٣٧].

وكما بدأ يوسف قصته بالتواضع؛ ختمها أيضًا بالتواضع لله ونَسَب إلى ربه المُلك والعلم اللذين أعطاهما الله إياه؛ فقال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

- بالمقابل فهناك موقف آخر في العُجب والغرور وعدم التواضع؛ حيث قص الله علينا قصة قارون -الذي أنعم الله عليه بسعة في المال-؛ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗا...﴾ [القصص:٧٨].

نسَبَ الثروة والمال والزينة إلى علمه وذكائه ونسي أن الله هو المُنعم عليه، واستخدم هذه النعم في الغرور والتكبر؛ فكانت النتيجة ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ...﴾ [القصص:٨١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٥)

﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾

اللمس، المس، المباشرة، الحرث... هذه الألفاظ وغيرها عبَّر بها التعبير القرآني عن الجماع، ولما ذكر الله الألفاظ هذه للتعبير عن الجماع؛ لأجل أن نتربَّى على حسن الأدب، ومحاسن القول، والحياء، وعدم الفُحش في الكلام، وتجنب الألفاظ التي تخدش الحياء.

- قال عن اللمس: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء:٤٣].

- وقال عن المس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩].

- وقال عن المباشرة: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧].

- وعن الحرث قال: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٦)
﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾

ناقش القرآن مسألة الصدقة بعدة أساليب؛ أسلوب تشويق، وأسلوب تأكيد، وأسلوب تحذير، وأسلوب تخويف، وأسلوب تطمين:

أولًا: الحث على الصدقة وتشويق النفس لأجل بذل الصدقة، قال الله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

وهذا مثل ضربه الله لتقريب مضاعفة أجر الصدقة. فالله لا يكتب الصدقة بمثلها، بل إلى سبعمائة ضعف وأكثر من ذلك؛ كمثل مزارع وضع في التراب بذرة من بر أو شعير أو غيرهما؛ فأنبتت هذه الحبة سبع سنابل، وحملت كل سنبلة مائة حبة؛ فيكون مجموعها سبعمائة حبة؛ وهكذا الصدقة.

فمثلًا: لو أن شخصًا تصدق بألف ريال ابتغاء وجه الله فإنه يُكتب له في صحيفة أعماله سبعمائة ألف ريال، إلى أضعاف كثيرة.

ثانيًا: التأكيد على الإخلاص وابتغاء وجه الله، قال الله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالذي ينفق ابتغاء وجه الله ونفسه طيبة عند إخراج الصدقة؛ شبه الله ذلك بمزرعة في مكان مرتفع فيها شتى أنواع الزروع -من النخيل والأعناب والفواكه- فهي في مكان مرتفع بعيدة عن مجرى السيل الجارف؛ فأتى عليها الغيث من السماء؛ فبارك الله في زرعها وثمراتها.

ثالثًا: التحذير من موانع قبول الصدقة؛ وهي:

١- المن.

٢- الأذى.

٣- الرياء وطلب الشهرة والفخر بهذه الصدقة.

قال الله في هذه الآية التي ذكرت موانع قبول الصدقة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

ضرب الله مثلًا لصدقة من يُلحق صدقته المن أو الأذى أو يتصدق طلبًا للرياء والفخر والشهرة؛ كمثل أرض فيها تراب لكن تحتها صفا، فكان صاحب هذه الطين والأرض يظن بأنه سيزرع عليها وستخرج له هذه الأرض الزروع والثمرات، لكن جاء المطر؛ فأزال وجرف هذا التراب حتى ظهر الصفا والحجر الأملس، وأصبحت الأرض ملساء قد ذهب كل ترابها، وكذلك الذي أتبع صدقته المن والأذى والرياء يمحق الله ماله ويذهب؛ فلا احتفظ بماله لنفسه، ولا قبل الله منه صدقته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وفي شأن المنّ يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم؛ المُسبِل، والمنَّان، والمُنفِق سلعته بالحلف الكاذب**» [رواه مسلم].

رابعًا: تخويف مانعي زكاة أموالهم بالعذاب؛ قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤، ٣٥].

- وقال الله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر:٤٢-٤٤].

خامسًا: رسائل أمان وتطمين للمتصدِّق.

فالنفس البشرية قد يبعثها على البخل وترك التصدُّق؛ الخوف من الفقر وذهاب المال الذي سيتصدق به؛ فعالج الله هذا الخوف بتطمين المتصدق بنوعين من الأمان؛ أمان في الدنيا من الفقر، وأمان في الآخرة بالأمن من خوف وفزع يوم الفزع الأكبر؛ قال الله: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

فحقيقة الأمر أن للشيطان دورًا في تخويف الواحد منَّا؛ فإذا فكر الواحد منَّا بالتصدق فإن الشيطان يخوفه بالفقر وذهاب المال؛ لكن الله يرسل آخر الآية الأمان في الدنيا بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمان في الآخرة؛ قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٤].

وذكر الله بأن الصدقة هي أمان وفيها نفع لصاحبها يوم القيامة -اليوم الذي لا تنفع فيه صداقة ولا بيع-؛ قال الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وقال جل ثناؤه: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم:٣١].

يقول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلِم عبدٌ مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عِزًّا؛ فاعفوا يعزكم الله، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر**» [رواه أحمد والترمذي].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٧)

﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾

رفض يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يخرج من السجن لما أتاه العفو الملكي بإخراجه من السجن؛ لأنه لا يريد أن يخرج بعفو أو مكرمة ملكية بعد سجنه ظلمًا، واتهامه بأنه أراد الفاحشة بسيدته زوجة العزيز؛ وإنما أراد أن يخرج من السجن مبرَّأً، ولا بد أن يعلم عدد كبير من الناس أنه بريء، وعلى أقل نسبة أن تأتي زوجة العزيز والنساء اللاتي حضرن مجلس زوجة العزيز؛ لتشهد عليها النسوة اللاتي حضرن مجلسها أنها قالت: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف:٣٢]؛ ليكون يوسف بريئًا بهذه الشهادة أمام الملك وحاشيته، وأنه سُجن ظلمًا، وأن زوجة العزيز هي التي راودت فتاها وليس العكس...؛ يُعلِّمنا يوسف في هذه القصة أن الواحد منَّا يبتعد عن مواطن الشبهة، وأماكن الريبة؛ حتى لا يُظن بها شرًّا.

- في هذا المقام تذكرت قصة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اثنين من الصحابة، فعندما زارته زوجته صفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وهو معتكف في مسجده، ثم ردها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيتها ليلًا، وبينما النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائد بزوجته إذ برجلين من الصحابة مرَّا؛ فقال لهما: «**على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي**». فقالا: سبحان الله وكبر عليهما ذلك، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**» [متفق عليه].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهذين الصحابيين إن المرأة التي بجانبه هي زوجته صفية وليست امرأة أخرى؛ حتى لا يوسوس الشيطان لهما أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برفقة امرأة أخرى؛ وهذا مما ينبغي على الواحد منا أن يبتعد عن مواطن الشبهة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٨)
﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

يصف الله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنهم الأعلون في معركة أحد مع أنهم فقدوا سبعين صحابيًا قُتلوا في هذه المعركة، إضافة إلى الجراح التي أصابتهم، فكانت أحداث هذه الغزوة أليمة على قلوب الصحابة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثقيلة على أنفسهم؛ لكن مع ذلك وصفهم الله بأنهم هم الأعلون، فكيف يكونون كذلك وقد أصابهم ما قد رأيت؟

- كان الصحابة هم الأعلون؛ لأن أكثر من سبعين صحابيًا ارتقوا شهداء، وكفى بالشهادة علوًّا ومنزلة؛ ولأن من أهداف الجهاد أن يتخذ الله فيها شهداء؛ كما قال الله في الآية التي بعدها: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران:١٤٠].

وفي هؤلاء الشهداء نزل قول الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩، ١٧٠].

فمن شدة فرحهم وما وجدوه في هذه الحياة السعيدة التي يعيشونها بعد استشهادهم يتمنون أن ينقلوا هذه المشاعر إلى إخوانهم المؤمنين الذي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يزالون على قيد الحياة في الدنيا؛ ليحرص إخوانهم في الجهاد والإيمان على نيل الشهادة؛ فكان نزول هذه الآية؛ ما رواه أبو داود -في الحديث الصحيح- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما أُصيب (أي قُتِل) إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خُضر ترد أنهار الجنة؛ تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلِّغ إخواننا عنَّا أنا أحياء في الجنة نُرزق؛ لئلَّا يزهدوا في الجهاد؟ فقال الله سبحانه: أنا أُبلِّغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ... ﴾**».

- كانوا الأعلين؛ لأنهم غنموا في بدر الكثير من الغنائم؛ لكن قريشًا في أُحد لم تغنم، إنما اكتفت بالقتل وذهبت.

- أنتم الأعلون؛ لأنهم أسروا قبل عام في بدر سبعين من قادة ومقاتلي قريش؛ لكن قريشًا في أُحد لم تأسر أي صحابي.

- أنتم الأعلون دينًا وإيمانًا؛ وأنتم الأعلون؛ لأنكم تقاتلون في سبيل الله، وغيركم قاتل في سبيل الطاغوت.

- أنتم الأعلون؛ لأن قتلاكم في الجنة، وقتلاهم في النار.

- أنتم الأعلون؛ لأن عدوكم هرب تجاه مكة ولم يذهب إلى المدينة؛ ليقتل وينهب ويأسر ويسبي النساء والأطفال، مع أن المدينة حينها كانت خالية من المقاتلين الذين يحمونها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٩)
﴿مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾

من كرم الله على عباده المجاهدين أن كتب لهم أجر الشهداء حتى وإن لم يحققوا أية نتائج؛ فهم مؤجرون بمجرد أن الكفار يغتاظون من أعمالهم؛ قال الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٢٠، ١٢١].

إلى الأبطال الصامدين في كل ميادين النزال وساحات إغاظة أعداء الدين أبشروا فإن الأجر سيكتبه الله لكم حتى وإن لم تحققوا النتائج التي ترجونها؛ فأنتم مجاهدون بمجرد إغاظة أعداء الدين .

إلى الأبطال في بيت المقدس وأكناف البيت المقدس لا تستمعوا للمُرجفين الذين يقولون ماذا حققتم بعمليات تقتلون فيها عدة أشخاص من اليهود؟؛ فالإغاظة وحدها تكفي، وحتى السير من مكان إلى آخر في الجهاد حتى وإن لم يحصل قتال فهو جهاد مأجور عليه المجاهد، فكيف لو أضفتم إلى الإغاظة النيل من الأعداء؛ وهو القتل أو الأسر أو الغنيمة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٠)
﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

لما كانت أعمار هذه الأمة قصيرة مقارنة بمن سلف من الأمم؛ جعل الله في هذه الأمة فضائل الأعمال التي تسبق أعمال الأمم السابقة؛ ومن هذه الأعمال القليلة الفعل العظيمة الثواب؛ ليلة القدر التي جعل الله العمل فيها خير من عبادة ثلاثٍ وثمانين سنة.

والعمل فيها يكون متعددًا؛ من قيام ليل وصدقة وقراءة قرآن وذكر لله ودعاء واستغفار.

سماها الله ليلة قدر لعدة معانٍ:

- أي أنها ليلة ذات قدْر ومكانة؛ قال الله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:٣] ويكفيها قدْرًا ومكانة؛ أنها خير من ألف شهر، وأن القرآن نزل في هذه الليلة.

- في هذه الليلة تضيق الأرض من كثرة نزول الملائكة؛ قال الله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر:٤] فالقدر بمعنى الضيق، كما قال: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]؛ أي ضاق عليه رزقه، وقال الله عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] أي ظن أن لن نضيق عليه بحبس في بطن الحوت ونحوه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- من معاني القدر؛ أن في هذه الليلة تنزل أقدار العباد السنوية من اللوح المحفوظ؛ قال الله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر:٤] من كل أمر؛ أي الأقدار السنوية للعباد؛ من الآجال والأرزاق وغير ذلك. ومما يؤكد هذا المعنى هو قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان:٣، ٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢١)
﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾

أفعال الله لا تخلو من حكمة، فكل مقادير الخلق من خير أو شر، أو سراء أو ضراء، أو عطاء أو منع، أو ضار أو نافع... كلها فيها حكمة لله تعالى، سواء عرفنا الحكمة أم لم نعرف؛ فكل أفعاله في هذا الكون تسير وفق مقتضى حكمته.

يعطي المال لأناس لِحكمة، ويمنع آخرين لِحكمة -أيضًا-.

فهل عندما يمنعني الله أو يمنعك المال والثراء في ذلك حكمة؟

الجواب في عدة آيات منها:

- ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

- ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧].

فذكر الله صنفًا من الناس بأن الفقر أو عيش الكفاف هو الأفضل لهم في سابق علم الله؛ لأن هؤلاء إذا أمدَّهم الله بالمال والغنى فإن هذا مُفسد لهم؛ لأنهم سيفسدون ويبغون على عباد الله، ويكون هذا المال سببًا لانحرافهم وفسادهم وبُعدهم عن الله، وسببًا لغفلتهم عن طاعة الله، والانشغال بالملذات والمُلهيات.

- ولما كانت الزيادة في الأموال والزينة والترف سببًا من أسباب طغيان فرعون وقومه؛ دعا عليهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بطمس ومحق هذه الأموال؛ لأنهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استخدموها في الطغيان على عباد الله، ولم يستخدموها في الطاعة؛ قال الله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس:٨٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٢)
﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾

من رحمة الله بعباده أن فتح لهم باب التوبة مهما حصل منهم من كفر أو معاصٍ أو موبقات، فما دام أن العبد أقبل على الله بتوبة صادقة فإن الله غافرٌ له ذنوبه مهما كانت.

وفتح باب التوبة يدل على حلم الله ولطفه ورحمته وجوده وكرمه وفرحه بتوبة عبده؛ قال الله عن الكفار: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨].

وقال عن النصارى بعد أن قالوا أن الله ثالث ثلاثة وقالوا إن له ولدًا ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤].

وحتى لو أسرف الإنسان على نفسه بالمعاصي فإن الله فتح له أبواب التوبة ونهاه عن اليأس من رحمته؛ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

- بل إن الله يفرح بتوبة عبده إذا تاب، وضرب النبي ﷺ لذلك مثلًا؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول: «**لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام؛ فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله تعالى قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت؛ فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته**» [رواه البخاري ومسلم].

(الدوية؛ أي أرض خالية من صحراء وغيرها).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٣)
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾

قد تمر على الواحد منا مرحلة من عدم الخشية من الله، والاستهانة بالذنوب، وعدم الخشوع عند سماع الآيات، وجفاف العيون وقسوة القلوب عند سماع المواعظ ورؤية الجنائز... فلماذا نُصاب بمثل هذه الأمور؟!

الجواب نجده في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤].

ما هو الرَّان؛ هو الغلاف والغطاء.

فالقلب من كثرة اكتساب المعاصي يكون عليه غطاء وغلاف؛ من غيبة ونميمة وغش وكذب وسب وسخرية ونظر إلى الحرام وسمع كذلك وفتن الشهوات والشبهات...؛ كل ذلك تجتمع على القلب وتضع عليه كالغطاء، وحينها؛ لا يخشع قلبه، ولا تدمع عينه، ولا يخاف من زواجر، ولا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا؛ وكل ذلك بسبب الأغطية والحُجُب التي وضعها على قلبه؛ فكانت حاجزًا بين قلبه وبين نور الهداية والاتعاظ.

وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند هذه الآية فيما رواه الترمذي وابن ماجة وحسَّنه الألباني من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة؛ نُكِتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب؛ صُقِل قلبه، وإن عاد زِيد فيها؛ حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله:** ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النكتة؛ أي نقطة سوداء.

صُقِل؛ أي أصبح أبيض نظيفًا.

وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث العلاج لهذه الأمور؛ فقال: «**فإذا هو نزع واستغفر وتاب...**». إذن؛ العلاج هو: ترك الأغطية التي تحجب عن القلب نور القرآن والسنة، وكذلك التوبة والاستغفار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٤)
﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ ﴾

يكفيك فوزًا وفلاحًا وإنجازًا أنك تموت على الحق حتى وإن لم تحقق أية نتائج في طريقك إلى الله في هذه الحياة.

يقص الله علينا عدة قصص في القرآن الكريم عن أُناس قُتلوا بسبب وقوفهم مع الحق وانتصارهم للمصلحين؛ فقتلهم قومهم دون أن يحققوا نتائج على أرض الواقع، وفي نظر البعض في زماننا هذا أن هذا نوع من إهدار النفس والعمر وإزهاقها دون فائدة.

- حبيب النجار، هذا الرجل الذي سمع بأن قومه قد أحاطوا بثلاثة من الأنبياء يريدون الفتك بهم، فلما سمع الخبر جاء مباشرة من طرف المدينة؛ للانتصار للأنبياء، مع أنه كان قادرًا على أن يقول بأن الأمر لا يعنيني؛ فلما وصل أخذ يدعو قومه إلى الدين الحق وانتصر للأنبياء؛ فكانت النتيجة أن داسه قومه بأقدامهم حتى مات؛ فكان بينه وبين دخول الجنة أن يُسجِّل هذا الموقف العظيم ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس:٢٦، ٢٧]. فالنتيجة التي حققها أنه مات على مبدأ؛ فكان جزاؤه الفوز والفلاح بدخول الجنة.

- موقف مشرف قوي حاسم من سحرة فرعون كان كافيًا لأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم في جذوع النخل ﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٥٠، ٥١]. وكفى بدخول الجنة فوزًا.

- بعد أن ذكر الله قصة أصحاب الأخدود؛ ختم الله القصة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج:١١].

سمى الله خاتمة الذين أُحرقوا في الأخدود بالفوز الكبير لماذا؟

لأنهم ثبتوا على الحق وماتوا عليه، فسمى الثبات على الحق والموت عليه فوزًا، وهل هناك فوز أعظم من رضا الله ودخول الجنة؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٥)
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾

المكابرة والعناد من موانع الهداية ومن أسباب البقاء على الضلال؛ ومهما أتيت المعاند بكل حجة وبرهان فإنه لن يقبل منك؛ لأنه عندما يطلب الآيات والحجج والمعجزات يريد الانتصار لنفسه اللئيمة ومحاولة تعجيز المصلحين وإسكاتهم، وليس هدفه الوصول إلى الحق.

قص الله علينا عدة قصص في القرآن عن أقوام طلبوا من أنبيائهم الأمور المستحيلة على البشر الإتيان بها وتحقيقها، وكانت هذه الطلبات ليست بهدف الإيمان، وإنما بهدف التعجيز والإحراج؛ ولما حقق لهم الأنبياء الأمور التي طلبوها منهم؛ استمروا في المكابرة والعناد؛ فمن هؤلاء:

- قوم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، طلبوا منه أن يُخرج لهم من الصخرة ناقة عظيمة، وكان طلبهم ذلك ليس لأجل الإيمان به؛ إنما أرادوا تعجيزه وإحراجه أمام الناس، فقال لهم إذا حققت لكم طلبكم هل ستؤمنون؟ قالوا نعم. فدعا صالح ربه أن يخرج له ناقة من الصخرة؛ فإذا الصخرة تنشق أمام الناس وتخرج منها ناقة عشراء؛ أي حامل في شهرها العاشر كما طلبوا؛ فلما رأوا هذه المعجزة البينة الواضحة؛ استمروا في عنادهم؛ بل إنهم بعد فترة من الزمن عقروا هذه الناقة.

- أيَّد الله نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمعجزات كثيرة؛ منها العصا واليد والدم والضفادع...؛ فلما رأى فرعون وقومه هذه المعجزات، قالوا: هذا سحر، مع

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اعتقادهم أنها حق من عند الله، ولكنه العناد؛ قال الله عنهم: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:١٣، ١٤].

فأنكروا هذه المعجزات مع يقينهم أنها من عند الله؛ ولكنه العناد والعلو والكبر عندما تتمكن هذه الأمراض الخطيرة من القلب.

- وصل قوم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى قناعة أن الأصنام التي كسَّرها إبراهيم لا تضر ولا تنفع، وأنها آلهة باطلة؛ فيصف الله حالهم: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٢-٦٤].

أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن الحجة، العارف بصحة حجة خصمه؛ فقالوا إنكم أنتم الظالمون؛ أي بعبادة من لا ينطق، ولا يملك لنفسه نفعًا، ولا يدفع عن نفسه ضرًّا، وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم الضر وهم لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم فأس إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟؛ فدفعهم العناد إلى أن رجعوا إلى ضلالهم ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ [الأنبياء:٦٥] أي انتكست عقولهم ورجعت إلى الباطل؛ بسبب المكابرة والعناد؛ ثم قادهم عنادهم إلى محاولة قتل -إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- حرقًا ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- العناد والمكابرة ومحاولة تعجيز الأنبياء عادة مستمرة من عادات المستكبرين والمعاندين، وكان من هؤلاء قريش؛ حيث طلبت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينشق القمر فرقتين؛ لتكون آية وعلامة على صدقه وصدق نبوته؛ فلما انشق القمر نصفين؛ دفعهم العناد والمكابرة إلى أن يقولوا إن محمدًا قد سحر أعيننا، وأن القمر لم ينشق حقيقة، وإنما هو سحر؛ قال الله واصفًا هذه المعجزة العظيمة، وواصفًا حال هؤلاء المعاندين ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:١، ٢].

فكم من أمم وجماعات وأفراد أهلكهم الله، وكان مصيرهم الخلود في النار؛ بسبب العناد والمكابرة؛ الأمر الذي دفعهم ذلك إلى عدم الانقياد للحق واتِّباعه؟!

(٢٦)
﴿نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾

حب المال والملذات والخوف على المصالح...؛ هذه من موانع اتِّباع الحق؛ لأن اتِّباع الحق في نظر هؤلاء أنه سبب لخسارة مصالحهم؛ فكم من أناس عرفوا الحق؛ لكنهم قدموا الملذات المؤقتة الفانية على الملذات الباقية عند الله في الجنة؛ دفعهم ذلك الحرص على المصالح والخوف من ذهابها من بين أيديهم؟!

كم من منصب أو مال أو متاع كان سببًا لرد الحق وعدم اتباع الأنبياء والمصلحين.

القرآن الكريم يذكر عدة نماذج لأمثال هؤلاء:

- ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾ [القصص:٥٧].

فكان عذر قريش في عدم الإيمان بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الخوف من قبائل العرب أن تتنزع منهم زعامة مكة وأن يتخطَّفهم الناس ويؤذوهم أينما كانوا بالقتل والأسر؛ لذلك تجد سياق الآية الكريمة تتحدث أن مشركي مكة معترفون بأنه نبي مرسل وأنه على الهدى؛ لكن الخوف على مصالحهم هو دافع من دوافع عدم قبولهم نبوته وعدم اتباع الهدى الذي جاء به.

ولما كان الخوف على انقطاع المصالح الدافع لقريش في عدم اتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ ذكَّرهم الله بأنها ملذات ومصالح فانية لا تبقى مع الإنسان، وأن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العاقل واللبيب من يؤثر ويفضل المصالح الباقية الدائمة على الفانية؛ فقال الله لهم: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص:٦٠، ٦١]؛ لأجل أن لا تكون مصالحكم المؤقتة حائلًا بينكم وبين الملذات الدائمة في دار السلام

- الخوف على مصالح المال والجاه والسلطان وغيرها؛ يدفع بأناس كثير -وما أكثرهم هذه الأيام- إلى موالاة الكفار ومناصرتهم؛ يدفعهم ذلك الخوف على مصالحهم في حال كانت الغلبة للكفار؛ قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٥١، ٥٢]. فخافوا من أن تدور الدوائر والنصر لصالح الكفار، وهذا الخوف جعلهم موالين لهؤلاء؛ لكن الله يبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾.

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بادروا بالأعمال فِتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا؛ يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا**» [رواه مسلم].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٧)
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾

لم يمدحِ الله في القرآن جيلًا كما مدح جيل الصحابة رضوان الله عليهم؛ فهم خير جيل وخير بشر بعد الأنبياء والمرسلين.

لا يحب الصحابة إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق مخذول؛ إذ كيف تبغض من كتب الله لهم الرضوان؛ فنحبهم لرضا الله عنهم؛ بل إن المبغض لهم يعارض معارضة صريحة ما جاء في الآيات التي تدل أن الله قد كتب لهم رضوانه.

قال الله عن هذا الجيل الفريد:

- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

لاحظ في الآية أن الله قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾؛ فالله جعل من علامات رضاه عن الذين يأتون بعد المهاجرين والأنصار - من التابعين وتابعي التابعين إلى يوم القيامة - أن يقتدوا بالصحابة في أعمالهم الحسنة، وألا يقولوا فيهم إلا حُسنًا.

- ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨، ٩].

- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ...﴾ [الفتح:٢٩].

- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** [رواه البخاري ومسلم].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٨)
﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾

من العبادات التي يكون فضلها عظيم وأجرها كبير؛ ذكر الله تعالى؛ لأنها تدل على تعلُّق القلب بالله، والله عَزَّوَجَلَّ يُحبُّ أن يُذكر ويُحمد ويُقدَّس ويُستغفر؛ وذكر الله يكون ما بين أذكار مقيدة -في الصباح والمساء وغيرهما- ومطلقة، وتسبيح واستغفار وثناء على الله.

عبادة الذكر كما أنها من أفضل الأعمال فهي بنفس الوقت أسهل عبادة يقوم بها العبد، فهي لا تحتاج إلى جهد وعمل، وليس فيها مشقة؛ إنما تستطيع القيام بها في جميع أحوالك، وحتى أثناء شغلك.

لما يذكر الله الأعمال الصالحة يذكرها بدون طلب الإكثار والزيادة؛ لكن لَمَّا تأتي آيات الذكر؛ تأمر بكثرة ذكر الله؛ لما لهذه العبادة من حب ومكانة عند الله؛ قال الله آمرًا عباده الإكثار من ذكره:

- ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

- ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣٥].

- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢].

- الإكثار من ذكر الله؛ من أسباب انتصار المجاهدين في جهادهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

- الذكر عظيم؛ قال الله ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فالذِّكر كبير وعظيم عنده؛ لأن ذكر الشيء المحبوب بالثناء والخير؛ دليل حب وتعلق بالمحبوب؛ فجعل الله هذه العبادة من أجلِّ القُربات.

- وأخبرنا الله أن ذِكره حياة القلوب وسعادتها وطمأنينتها؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

- وعندما ذم الله المنافقين؛ ذكر أن قلة ذكرهم إياه سبب من أسباب مقت وكره الله لهم؛ ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

- وذكر أن عدم ذِكر العبد إياه؛ دليل على استيلاء واستحواذ الشيطان على قلب هذا العبد ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق** (أي الفضة)، **وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى. قال: «**ذِكر الله تعالى**».

والإعراض عن ذكر الله سبب من أسباب الشقاء والحياة التعيسة؛ قال الله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٩)

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

هكذا يصف القرآن قصة معركة الأحزاب (الخندق)؛ تزلزلت القلوب وبلغت الحناجر، واضطربت الأقدام اضطرابًا شديدًا، وأصبح الصحابة في كرب عظيم وفزع شديد؛ لأن الأعداء من الأحزاب حاصروا المدينة، ولأن بني قريظة نقضوا عهودهم؛ فأصبحوا بين فكي كماشة، وأصبح الموت يحيط بأهل المدينة من كل جانب؛ لكن الله لما رأى صدق هؤلاء، وثباتهم على دينهم؛ أعطاهم ثلاث جوائز وثلاثة انتصارات متتالية؛ فقال الله:

- ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥]. فرجعت قريش ومن معها من قبائل العرب خائبين دون أن يحققوا أية نتائج؛ حيث أرسل الله عليهم ريحًا شديدة؛ فزعزعت مراكزهم، وأسقطت خيامهم، وقلبت قدورهم، وأزعجتهم، وضربهم الله بالرعب؛ فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين.

- ثم جائزة أخرى بعدها؛ فقد مكَّن الله نبيه وصحابته من رقاب يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد، وأرادوا إدخال جيش الأحزاب من مناطقهم ومزارعهم؛ لكن النتيجة أن الله قذف في قلوبهم الرعب، ونزلوا من حصونهم (صياصيهم)؛ وأصبحوا بين يدي الصحابة بين قتيل وأسير،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأصبحت حصونهم وديارهم وأموالهم مِلكًا للصحابة، الذين خرجوا قبل أيام من حصار وكرب؛ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢٦، ٢٧].

﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾؛ هذا هو النصر الثالث، وهو أن الله في نفس الآية بشَّرهم بفتح خيبر، هذه البقعة التي كانت منبع الشر والتآمرات على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته -رضوان الله عليهم-؛ فبشرهم بفتحها؛ ليتم طوي صفحة اليهود في المدينة وحولها.

فبعد الصبر نصرٌ، وبعد العسر يسرٌ، وبعد الابتلاء تمكينٌ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٠)

﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾

لتأثير الصديق على صديقه خيرًا أو شرًّا؛ حذر الله أشد الحذر من أصدقاء السوء؛ لأنهم دعاة على أبواب جهنم، وبسبب إضلالهم لأصدقائهم قد يُخلَّد الإنسان في النار، ويكون هؤلاء أعداء يوم القيامة يلعن بعضهم بعضًا، وبالمقابل ذكر الله أن الأصدقاء الصالحين يكونون أحبة يوم القيامة.

يقص الله علينا قصة عُقبة بن أبي مُعيط كيف أنه كان أسلم ونطق الشهادتين أمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجع إلى الكفر؛ بسبب تحريض صديقه أُميَّة بن خلف؛ فما زال به أُميَّة حتى أرجعه إلى الكفر؛ فذكر الله حال عُقبة كيف سيكون يوم القيامة – من الندم والحسرة وعلى التبرؤ من صديقه الذي أورده النار – ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

– يقص الله علينا مشهدًا سيكون يوم القيامة بعد فصل القضاء؛ في هذا الموقف يصف الله قصة شخص من أهل الجنة، وفي لحظة من اللحظات وهو في الجنة؛ تذكَّر أيام الدنيا، وأن في الدنيا كان له صديق يحاول تشكيكه في يوم البعث، وأنه من المستحيل البعث والنشور بعد أن نكون عظامًا ورفاتًا، وأخذ يشككه في الحساب والجزاء؛ لكن هذا الشخص لم يستمع إلى شبهات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صديقه، ولم يستطع صديقه أن يغويه وأن يحرفه عن الهداية؛ فتعالوا نتأمل هذا الموقف ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات:٥٠-٥٧].

(لمدينون؛ أي لمجزيون ومحاسبون).

بعد أن سأل الصديق الصالح عن صديقه وعن مصيره؛ أُذِن لهذا الشخص أن يطَّلع على أهل النار؛ فرأى صديقه في وسط النار؛ فقال: تالله إن كنت لترديني وتهلكني معك في جهنم؛ لولا رحمة من الله ونعمة أنعم بها عليَّ - أنني لم أمضِ معك على ضلالتك -؛ لكنت معك في النار.

فانظر بين الموقفين؛ شخص يتبرأ من صديقه ويعض أصابع الندم؛ لأن صديقه أورده المهالك، وآخر لم يجرِ وراء شهوات وشبهات صديقه؛ فكان مصيره الجنة، وحمد الله أنه لم يكن أُلعوبة بيد صديقه الضال.

الأصدقاء يكونون أعداء يوم القيامة وتنقلب صداقتهم التي كانت في الدنيا إلى عداوة يوم القيامة، ما عدا الأصدقاء الذين اجتمعوا على الخير والصلاح والتقوى؛ قال الله ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧].

فكم من منحرف عن الهداية، وكم من وارد النار كان سبب هلاكهم أصدقاء السوء؟!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالمقابل -أيضًا- كم من وافد على الرحمن في جنات النعيم بسبب أصدقاء صالحين؛ تبعهم الإنسان على الخير والصلاح؟.

من الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة «**رجلان تحابا في الله...**» [رواه البخاري ومسلم].

وقد روى أحمد والحاكم والترمذي وأبو داود في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**».

فالصديق تأثيره كبير على صديقه؛ خيرًا كان أو شرًّا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣١)

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾

من أجلِّ العبادات الدالة على توفيق الله للعبد؛ قيام الليل؛ وقد حث الله على هذه العبادة، وجعلها من صفات عباد الله الذين يدخلون الجنة، وهي عمل الأنبياء والصالحين، وفيها يكون العبد قريبًا من ربه؛ عندما يقوم في جوف الليل مصليًا ذاكرًا داعيًا ربه خوفًا وطمعًا، وفي هذه العبادة يتعرَّض العبد لمنح الرحمن، وأعطيات الكريم المنان؛ قال الله عن هذه العبادة؛

- ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات:١٥-١٨].

من العبادات التي دخلوا بسببها الجنة؛ قيام الليل؛ فكان نومهم بالليل قليلًا.

- ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣، ٦٤].

فهذه من صفاتهم؛ لذلك سماهم عباد الرحمن؛ تشريفًا لهم، حيث أضافهم إليه.

- ذكر الله من صفات عباده المؤمنين أن جنوبهم تتجافى؛ أي ترتفع جنوبهم، وتترك مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم؛

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦، ١٧].

فيجدون في الجنة من الخير الوفير والنعيم المقيم الدائم ما تقر به أعينهم وترضى، فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل؛ جازاهم من جنس عملهم؛ فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

- قيام الليل شرف للمؤمن؛ فعن سهل بن سعد وجابر بن عبد الله وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**» [رواه الطبراني والحاكم والبيهقي].

- ومن أعظم الأوقات تلك هي التي ينادي فيها الرب عباده، ويتودد إليهم، ويحثهم فيها على التعرض لأعطياته وهِبَاته؛ هي ساعات الثلث الأخير من الليل؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطيَه، من يستغفرني فأغفرَ له؟**» [رواه البخاري ومسلم].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٢)
﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

حياة العبد في السير إلى الله حياة متوازنة بين الرغبة والرهبة؛ والتعامل مع النصوص الشرعية بطرف دون الآخر يكون حينها الإنسان بين الغلو والتلاعب، وما بين الإفراط والتفريط؛ بل التعامل مع نصوص الوعد ونصوص الوعيد تكون بتوازن بين رجاء الرحمة والغفران، والرهبة من عذاب الله وسخطه؛ حتى لا يؤدي الأول إلى الاستهانة بالمحرمات والتلاعب بالواجبات، ولا يؤدي الآخر إلى اليأس من رحمة الرحمن الرحيم.

هذا التوازن أكَّد الله -سبحانه- عليه في كثير من آيات القرآن؛ فيذكر الجنة ثم يعقِّب بذكر النار، ويذكر وافدي الجنة ثم يذكر واردي النار، ويذكر رحمته وعفوه وغفرانه، ثم يذكر آيات عظمته ونقمته وجبروته؛ ليعيش العبد بين الحالتين؛ بين الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء.

تعالوا لنتأمل ميزان التعامل مع الله في هذه النصوص القرآنية:

- ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨].

فجعل علاقتنا معه بين خوف عذابه الشديد وبين رجاء رحمته الواسعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- تجد في الأمة من الخطباء والوعاظ من يكون كل حديثه في خطبه ومواعظه عن الرحمة وسعتها والغفران وعفو الله، ويترك نصوص الترهيب؛ فيؤدي ذلك إلى التهاون في فعل المعاصي، والتفريط بالواجبات، ونقيض آخر تجد كل أحاديثهم عن النار والخوف والرهبة ولا يكاد يذكر نصوص عفو الله وأن العبد إذا أقبل على الله بتوبة صادقة فإن الله غافرٌ له ذنوبه مهما كانت؛ فيؤدي بهم إلى القنوط من رحمة الله؛ الأمر الذي يدفعهم إلى مواصلة الإعراض عن الله والبعد عنه.

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥].

ففي هذه ترهيب وترغيب، أن حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤوا به من خير وطلب.

وكثيرًا ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد:٦]. وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:٣]. وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب؛ فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا؛ لينفع في كل بحسبه، ولتكون علاقة العبد متوازنة بين هذا وذاك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لذلك تجد أن عدم ضبط وتوازن هذه المسألة؛ كانت سبب ضلال طائفتين؛ هما الخوارج والمرجئة؛ فالأولى أخذت آيات الوعيد والعذاب؛ فجعلت مرتكب الكبيرة كافرًا في الدنيا، وخالدًا مخلدًا في النار -إن مات قبل أن يتوب منها-، والطائفة الأخرى أخذت آيات الوعد والرحمة والغفران؛ فاعتقدت أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، لكن العقيدة الصحيحة السليمة، هي عقيدة أهل السنة وسلف الأمة من الصحابة وتابعيهم؛ وهو التوسط، حيث لا غلو أو تضييع، ولا إفراط أو تفريط؛ وحسبهم في ذلك الآيات التي ذكرناها وغيرها التي لم نذكرها، والأحاديث الصحيحة التي توازن بين هذا وذاك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٣)
﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾

إن مما تقر به عين المسلم أن يكون أهله وذريته من أهل الاستقامة والصلاح؛ فيكونون عونًا له على الطاعة في دنياه، وفي آخرته يُلحقهم الله به في الجنة؛ لتقر بهم عينه دنيا وآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور:٢١].

الحرص على صلاح الذرية تجدها حاضرة في دأب الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم؛ فبصلاحهم يكون خيرًا على خير؛ ومن هذه الآيات:

- ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ إلى أن قال إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٥-٤٠].

فانظر حرص إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على ذريته، حيث لم يقتصر على الدعاء لنفسه؛ بل دعا لنفسه ولذريته أن يجنبهم الله عبادة الأصنام، وأن يكونوا محافظين على أداة الصلاة.

بل إنك لترى في موقف آخر أن خليل الرحمن عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن حريصًا على ذريته التي عاشت معه فقط؛ بل إنه دعا لذريته إلى قيام الساعة؛ فقال الله على لسان خليله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]؛

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد -صلوات الله وسلامه عليه- رسولًا إلى قريش وإلى العالمين جميعًا.

- يمدح الله نبيه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعبادات كان يؤديها، ومنها حرصه وحثه أهله وذريته على العبادة ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم:٥٤، ٥٥].

- خاتم الأنبياء يأمره ربه بالصبر على الصلاة وأن يأمر أهله بالمحافظة عليها ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه:١٣٢].

- وقص الله علينا قصة الرجل الحكيم الذي خلَّد الله حِكَمه ووصاياه لابنه؛ حرصًا منه على صلاح ولده؛ فقال الله على لسان لقمان الحكيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]. وبعد أن أرشده إلى أمر عظيم لأجله خلق الله السموات والأرض والخلق جميعًا؛ وهو توحيده لا شريك له؛ أرشده إلى مراقبة الله وأداء الواجبات، والتخلُّق بمحاسن الأخلاق ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٦-١٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وأمر كل واحد منا أن يكون حريصًا أشد الحرص على وقاية أهله عذاب جهنم؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

فلم يقل اكتفوا بوقاية أنفسكم من النار، بل أمرهم بوقاية أهليهم كذلك؛ ليكونوا عونًا لهم على العبادة، وقرة عيونهم في الآخرة.

- إن الحرص على صلاح الذرية والزوجات هو دأب وعمل الصالحين، الذين وصفهم الله بعباد الرحمن، فبعد أن ذكر صفات عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان، ذكر أن من صفاتهم الحرص على صلاح الذرية والزوجات، والدعاء لهم بالصلاح ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

- بل إن صلاح الذرية من الأعمال التي يجري على المؤمن أجرها في قبره؛ كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة؛ إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [رواه مسلم].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٤)
﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾

عبادة الثقة بالله في أصعب الظروف والمواقف لا يوفَّق لها إلا القليل من الناس؛ لكنك تجد هذه العبادة حاضرة عند أنبياء الله ورسله والصالحين؛ إذ تجدهم في ثبات عظيم وثقة عالية بالله عند أحلك الظروف وأشد المواقف، وقد ذكر القرآن الكريم عدة مواقف لأمثال هؤلاء الواثقين الثقة المطلقة بالله سبحانه؛ وإليك نماذج منها:

تأمل معي هذا الموقف العصيب؛ في رحلة بني إسرائيل هاربين ليلًا من فرعون وجنده، تشرق الشمس على بني إسرائيل وإذ بالمفاجئة التي رأوا فيها الموت يحيط بهم من كل جانب؛ البحر المتلاطم الأمواج من أمامهم، وفرعون الطاغية بجنوده من خلفهم، وفي هذا الموقف العصيب على بني إسرائيل يصف الله حالة بني إسرائيل مخاطبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١].

عند عشرات الآلاف من بني إسرائيل أن المسألة انتهت هنا؛ لكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الواثق بالله يُعلِنها مدوية واضحة ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]؛ لتكون نتيجة ذلك ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣] فقبل لحظات يعلن بنو إسرائيل أن الموت محقق؛ لكن الله أراهم بعد لحظات أن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الموت المحقق لعدوكم وليس لكم؛ فعبر بنو إسرائيل البحر؛ وأغرق فرعون وجنده في صبيحة ذلك اليوم بلحظة واحدة كلمح البصر.

- تنتهي الحجج وتنعدم عند قوم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن قال: اسألوا الأصنام لتخبركم من الذي قام بتكسيرها؛ قالوا حرقوه؛ لكن الحماية الإلهية تتدخل لتنقذ هذا الرجل الأُمَّة الواثق بربه ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

فكان الله حسبه وناصره ووكيله وحافظه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٥)
﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾

كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضيق صدره بسبب ما كان يتعرض له من أذى قومه له، فهو بشر يعتريه ما يعتري البشر من الهم والضيق والحزن من كثرة الأذى وحملات التشويه والتضييق التي يشنها قومه عليه؛ فكان ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يثبِّت قلبه ببعض المثبتات ويؤنس نفسه ببعض المؤنسات؛ ومن هذه المثبِّتات على طريق الدعوة، قصص الأنبياء الذين سبقوه في الدعوة والرسالة والابتلاء؛ لأن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد منافسة غيرها، وتقوى النفوس إذا علمت نصر وتمكين من سبقها؛ فكانت هذه القصص تثبته وتصبره وتؤنسه وتعطيه دوافع صبره واستمراره في تبليغ رسالة ربه؛ قال الله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ...﴾ [هود:١٢٠].

ألا تعلم أين وردت هذه الآية، وما الذي سبقها من آيات؟

وردت آخر سورة هود، وأتت بعد قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ حيث عرض الله الرحلة الطويلة لهؤلاء في حقل الدعوة، وما لحقهم في هذه المسيرة من الأذى والابتلاء؛ فكانت عاقبة ذلك أن الله نصر هؤلاء الأنبياء؛ وحاق العذاب بالمكذبين؛ فكانت هذه القصص تثبت فؤاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتشرح صدره، وتعطيه العزيمة على مواصلة تبليغ رسالة ربه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- بعد أن ساق القرآن قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكر سلسلة الابتلاءات التي مر بها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ من رمي إخوته له في البئر، ثم حياة العبودية والرِّق، ثم ابتلائه بزوجة العزيز واتهامها له بمحاولة إرادة السوء بها، ثم سنوات في السجن ظُلمًا؛ لكن العاقبة كانت -بعد سلسة الابتلاءات- أن أصبح عزيز مصر؛ يتبوأ منها حيث يشاء؛ من رغد العيش، والنعم، والجاه؛ ثم ختم الله القصة بقوله في آخر آية من سورة يوسف: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١].

فالنص القرآني يقول لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمته من بعده؛ هذه القصة لكم فيها عبرة وتأمل؛ لتعلموا أن بعد البلاء تمكين، وبعد العسر يسرٌ، وبعد الشدة فرجٌ، وأن المسألة هي مسألة وقت يختبر الله فيها عباده المؤمنين؛ ليميز الله -في هذه المرحلة- الخبيثَ من الطيب، والمهتزَّ المتزعزع من الثابت، والكاذبَ من الصادق، وصاحبَ المصالح المادي من المخلص؛ وليعلم هؤلاء الصادقون أن النصر قريب، وأن متاع وجبروت وقوة أعداء الدين عما قليل ستتلاشى؛ فلا يخدعنك ويغرنك أيها المؤمن هيمنة هؤلاء وعُدَّتهم وعتادهم ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران:١٩٦، ١٩٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٦)

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾

عندما يكون الداعية والمُصلح لوحده في مجتمعه تجد أن بعض هؤلاء الدعاة يجعل غربته ووحدته وعدم وجود دعاة يأنس بهم، يجعل ذلك من العوائق التي يبرر بها فتوره عن الدعوة أو الذوبان بين أوساط الناس أو تؤدي به الانغلاق على نفسه؛ وهذه ليست في الحقيقة من العوائق، بل هي أعذار مصطنعة وعقبات صنعها الداعية لنفسه؛ وإلا فالداعية يكون أمة لوحده إذا استشعر أهمية القضية التي يحملها والرسالة التي يؤديها؛ وهي رسالة الدعوة هذه المهمة التي هي وظيفة الأنبياء والمرسلين.

يقص الله علينا قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأنه لم يتخذ من العزلة ومن السجن حجة ليترك الدعوة؛ بل إنه في غياهب السجن كان داعية؛ يأمر وينهى، ويعظ ويدعو إلى التوحيد؛ فقال الله عنه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩، ٤٠].

فيا أيها الداعية والمُصلح يا من تحمل وظيفة الأنبياء، تأمل معي موقف يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو في مكان ضيق وكرب وعزلة عن رفاقه في الدعوة ومع

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك لم يتخذ من تلك الأعذار والتبريرات وسيلة لترك الدعوة؛ بل كان في السجن داعية ومُصلحًا، آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر.

واعلم -أيضًا- أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أمة وحده في مجتمع وثني يعبد الكواكب والتماثيل، ولم يتخذ من وحدته مبررًا لترك الدعوة وهدم الأصنام والوقوف أمام أهل الأوثان.

إليك أخي الداعية الذي تتخذ من غربتك ووحدتك مبرِّرًا؛ تذكَّر أنك لست غريبًا ما دام الله معك، وتذكَّر أنك لست بغربة أشد من غربة يوسف وهو في السجن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٧)

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾

يعلم الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته من بعده القناعة وعدم النظر إلى ما مع الناس من أصناف الأموال والمتاع والمآكل والمشارب والزينة؛ فيقول له: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٣١].

فيقول الله؛ لا تنظر نظرة طامع وراغب إلى ما أعطى الله الآخرين من (أزواج)؛ أي من أصناف المتاع والملذات؛ لماذا؟

لأن القناعة كنز لا يفنى، ولأن الطمع وعدم القناعة بوابة من بوابات الحسد، ولأن هذا المتاع زائل لا يبقى، إنما المتاع الحقيقي الدائم الذي لا يزول هو متاع الجنة؛ لذلك لما كان هذا المتاع الدنيوي زائل، ولأجل أن يعلمنا الله القناعة وعدم إطالة النظر فيما في أيدي الناس؛ لفت الله أنظارنا، وأرشد نفوسنا إلى ما أعده الله في الجنة لكل مؤمن مقبل على الله لم تغره زهرة الحياة الدنيا؛ فقال: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾.

- ولأجل ترسيخ القناعة في قلب الواحد منا؛ ذكر الله حقارة الدنيا وزهَّد فيها، وقلل من شأنها، إذ أن المتاع الزائل هو زهيد قليل حقير مهما رأى صاحبه أنه كثير، وبالمقابل أرشد إلى المتعة الدائمة التي لا تفنى ولا تزول؛ فقال: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [النساء:٧٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالأرزاق مكتوبة، والمعايش مقسَّمة مسجلة محسومة، فارضَ بما قسمه الله لك ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف:٣٢].

ونهى الله عن تمني فيما أيدي الناس، ذاك التمني الذي يؤدي إلى الطمع فيما يد الغير والحسد له على ما أعطاه الله من مال أو جاه أو متاع أو زينة؛ فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢].

- الرضا والقناعة سماها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنىً؛ فقال: «**ارضَ بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس**» [حسَّنه الألباني من حديث أبي هريرة].

وفي حديث آخر ذكر أن عَرَض ومتاع الدنيا ليس هو الغنى؛ فقال في الحديث الذي رواه الشيخان: «**ليس الغنى بكثرة العَرَض؛ إنما الغنى غنى النفس**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٨)

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ﴾

الإيجابية وحب الخير للناس وعدم السلبية، هذه صفة حميدة خلَّد الله ذكر أصحابها في القرآن؛ لمواقفهم الإيجابية التي عملوها؛ فقال عن هذه النماذج الإيجابية:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨].

فانظر إلى المواقف الإيجابية لهذه النملة؛ نادت بني جنسها أن يدخلوا مساكنهم؛ لأن سليمان آتٍ هو والآلاف من جنوده، فهذا الجيش - بعدده وعتاده - لن يشعر أن في الأرض نملًا تدب على الأرض؛ لكنها هي كانت في مكان مرتفع رأت فيه الجيش قادم فحرصت على نجاة قومها، ولم تكن سلبية فتكتفي أنها تنجو بنفسها؛ هذا موقفها الإيجابي الأول؛ وهو حرصها على نجاة قومها وسلامتهم؛ والموقف الإيجابي الثاني أنها أحسنت الظن بسليمان وجنوده؛ فقالت: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فأحسنت الظن أن الجيش لو مر على قومها فإن ذلك العمل بدون شعور الجيش وبدون تعمد؛ فهل رأيت مثل هذا الموقف الإيجابي؟!

- موقف إيجابي آخر يسجّله أحد الطيور؛ فينقذ الله به مَلِكة ومملكتها من الشرك والنار، وكان بإمكان هذا الطائر أن لا يسجل هذا الموقف كونه حيوان ليس مهمته الدعوة والإبلاغ؛ لكنه أبى إلا أن يكون نافعًا إيجابيًا، يحب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخير للناس، ولتكون له بصمة إيجابية في حياته؛ فقد رأى وهو يحلّق في الجو أن مملكة سبأ وملكتها يسجدون للشمس من دون الله؛ فرجع مباشرة مبلِّغًا سليمان هذا النبأ اليقين، ومعترضًا على هؤلاء عملهم المشين؛ قال الله عن هذا الإيجابي ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل:٢٢-٢٤].

- في ليلة من الليالي، وفي وادي نخلة قُرب مكة، يقرأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، وأثناء قراءته مر فريق من الجن بهذا الوادي، فسمعوا هذا الكلام العجيب الذي لم تسمعه آذانهم من قبل؛ فوصل إلى القلوب قبل الآذان، لكنهم عندما سمعوا القرآن لم ينتهِ الأمر هنا؛ إنما كانوا فريقًا إيجابيًّا؛ فانطلقوا دعاة إلى قومهم حريصين عليهم، يدعونهم إلى دين الإسلام، وترك الديانة اليهودية التي كانوا عليها وقومهم؛ قال الله قاصًّا علينا قصتهم وموقفهم الإيجابي ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١].

وذكرهم الله في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن:١، ٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* فاترك لنفسك بصمة في أي ميدان من ميادين الخير والنفع والعطاء؛ وكن ممن قال فيهم الشاعر:

قد مات قوم وما ماتت فضائلهم

ولا تكن ممن قال فيهم:

وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٩)
﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾

إن طاعة الله ورسوله عبادة متلازمة لا تقبل التجزئة ولا التفريق؛ فقد قرن الله طاعته بطاعة رسوله في كتابه الكريم؛ وهذه بعض آيات ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد:٣٣]. وقد وردت خمس آيات بهذا اللفظ.

وجعل الله لرسوله ﷺ حق التشريع؛ من الحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

من يدَّعي حب الله فإن علامة صدق وبرهان ذلك الحب أن يتَّبع الرسول ﷺ، وذكر أن شرط صحة محبة العبد لله أن يكون متبِّعا مقتديًا بالرسول ﷺ، وأن اتّباعه هو دليل برهانٍ على حقيقة محبة العبد لله؛ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

ونهى الله تعالى عن تقديم أي أمر من أمور الدين على أمر الله ورسوله، وأن نكون سائرين خلف أوامر الله وسنة رسوله ﷺ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن حسرات أهل النار؛ أنهم يتحسرون ويندمون على تفريطهم في طاعة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ إذ تأكَّد لهم - وهم في النار - أن طاعة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المقترنة بطاعة الله هي سبيل النجاح والفوز، وأن معصيتهما أوردتهم المهالك؛ قال الله واصفًا حالهم التعيس، وحسراتهم على عدم طاعتهم اللهَ ورسولَه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٤٠)
﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾

التضييق على المصلحين ماديًّا، وتجفيف المنابع المالية؛ لتنفير أتباع المصلحين، وإضعاف الدعوة إلى الدين؛ ربما يظن البعض أن هذه وسائل عصرية لمحاربة الدين وحملته؛ لكنك حين تنظر إلى بعض آيات القرآن؛ تجد أن هذه الحملات الداعية إلى التضييق المادي أسسها المنافقون في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت الدعوة إلى عدم الإنفاق على صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأجل أن ينفضَّ وينفرَ الصحابة من نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

تأمل معي حال المنافقين السابقين تم قارنهم بتلاميذهم في هذا العصر وكيف تشابهت قلوبهم وأعمالهم ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧].

فأرادوا بهذا التضييق المالي أن يتفرق فقراء الصحابة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتركوه.

لكنك تجد -أيها الداعية، وأيها السائر في سبيل الله- أن الله يطمئنك أن خزائن السموات والأرض لله وبيده سبحانه، وليست بيد هؤلاء؛ فكن على يقين أن كيد هؤلاء في تضليل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتويات

المقدمة ٧
(١) ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ ٩
(٢) (المتبوعون والأتباع) ١١
(٣) ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ١٤
(٤) (لعله خير) ١٧
(٥) (القرآن وحماية الفضيلة) ١٩
(٦) (الأدب مع الله) ٢٢
(٧) ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ ٢٤
(٨) ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ ٢٦
(٩) ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ ٢٨
(١٠) ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ٣٠
(١١) ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ ٣١
(١٢) ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ ٣٣
(١٣) ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ٣٦
(١٤) ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ ٣٩
(١٥) ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ ٤٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٦) ﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ ٤١
(١٧) ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ ٤٥
(١٨) ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ ٤٧
(١٩) ﴿مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ ٤٩
(٢٠) ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ ٥٠
(٢١) ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ ٥٢
(٢٢) ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ ٥٤
(٢٣) ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ ٥٦
(٢٤) ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ٥٨
(٢٥) ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ ٦٠
(٢٦) ﴿نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾ ٦٣
(٢٧) ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ ٦٥
(٢٨) ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ٦٧
(٢٩) ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ ٧٠
(٣٠) ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ ٧٢
(٣١) ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ ٧٥
(٣٢) ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ ٧٧
(٣٣) ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ٨٠
(٣٤) ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ ٨٣
(٣٥) ﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ ٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٦) ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ ٨٧
(٣٧) ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ ٨٩
(٣٨) ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ﴾ ٩١
(٣٩) ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ٩٤
(٤٠) ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ ٩٦

تم بحمد الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صدر للمؤلف